الشَّكــوى في شِعرِ فتيان الشَّاغوري(ت ٦١٥ هـ)

م.د. جرجيس عاكوب عبدالله الراشدي

جامعة الموصل/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

الملخص:

يقوم البحث على دراسة الشكوى في شعر فتيان الشاغوري، دراسة نقدية موضوعية؛ تُظهر الجانب الذاتي والإنساني في شعره؛ لأنَّ الشكوى تشكل ظاهرة أدبية حاضرة في شعره تعبر عن حالته النفسية، وواقعهِ الاجتماعي ببثِّ معاناته والآمه وأوجاعه في مشاعر إنسانية؛ تكشف عن رهافة حسه وتجربته العميقة، بدلالة الشكوى في إثارة المشاعر والأحاسيس ببنيةٍ تتجاوز الدلالة المعجمية إلى دلالات موضوعية وذاتية واجتماعية تصور رؤيته للواقع وما به – حسيًا ومعنويًا– من حرمان وظلم أنتجا يأسًا وقهرًا؛ فتجلت الشكوى عنده في أربعة محاور– الشكوى من فراق الإخوة والأصحاب، ومن الفقر وضعف الحال، ومن نوائب الزمان وجوره، ومن الحكام والأعيان– بتجربة شعرية مكتملة الأركان.

الكلمات المفتاحية: الشكوى، الزمان، الفقر، الأعيان، الفراق.

توطئة:

الشكوى ظاهرة موضوعية مفعمة بالإصرار، وتزدحم بالمعاناة عند الشاعر فتيان الشاغوري[١]؛ فليست الشكوى سوى وسيلة؛ ليكون المرء أفضل حالًا، وأحسن مألًا، فتصدر عن نفس إنسانية تشعر بالظلم والحرمان، "وانعدام حياة العدل والمساواة والشعور بالحيف وعدم الوفاء، وهي بعد ذلك صرخة العواطف المحرومة الخائبة، ومظهر للاضطراب النفسي، والتشاؤم الذاتي"[٢]، يلجأ الشاعر إلى الشكوى من محن الأيام، ونوائب الزمن، وفراق الأصحاب والأحباب، ومن فقر الحال وضعفه، وقد تكون الشكوى من ظلم حاكم أو جور والٍ أو وزير؛ لبث ما يختلج في النفس من هموم وآلام، وربما في "افصاح الشاعر عن الحزن والشجن في شكواه، يكون من أصدق الناس تعبيرًا عن الحقيقة النفسية؛ لأنه يعبر عن حالات وجدانية ومعاناة حقيقية، وعواطف وهّاجه"[٣]، وتتعاظم الشكوى عند الشاعر عندما لم يجد من يسمعه ويسعفه؛ فتكون معاناة حقيقية واقعية يحس بها، ويكابدها في قلبه، وتضر بواقعه الإنساني؛ لتمس شغاف قلبه ألمًا وحزنًا؛ في "ألفاظ موحية، وعبارات آسرة، وأبيات مثقلة باهتزازات العواطف وخلجات الوجدان، ممزوجة بالانفعالات الفردية والجماعية، مصورة لما يثور في أعماق النفس من آلام، وما يمور فيها من مواجع وحسرات"[٤]، بلغة شعرية تكون صورها المتنفس الوحيد الذي يبرئ آلامه وأوجاعه، بأنساق تكشف الموازين المضطربة والمقاييس المختلفة، بـ" رغبات غير معلنة ... تعمل على تجاوز الواقع السيء من خلال رفضه والتمرد عليه، وتحقيق الذات"[٥]، وقد تتسع الشكوى؛ لتعبر عن حياة مجتمع بأسره، وجيل بأكمله؛ لأن الشاعر "يتجرد من وجعه؛ ليصور وجع الآخرين في عملية كبرى هي

الواقع المحيط الذي يموج بالتناقضات المختلفة، وفيها يصبح الشاعر الشاكي مفردًا يصوغه الجمع، وما شكواه إلا أصوات فردية من أجل المجموع الغائب صوته الحاضر في ألمه"[٦]، ربطها الشاعر بأهل الزمن والدهر؛ ليرفع عنه الحجة، ويثبت أنها واقعة، فيعكس واقعا مريرًا، وخللًا وتقصيرًا، ويدعو إلى "الإصلاح وتغيير الواقع السلبي، مما يكسب شعر الشكوى بمختلف أنماطه صفة التأثير والقبول، لما يحمله هذا الشعر من الصراحة، وما يتسم به من المباشرة وصدق التعبير"[٧]، فتكون رسالة نصح، وإرشاد للقادة والولاة، في إغاثة الأمصار، والرعية من جهة، وإغاثة الشاعر، ورفع من منزلته من جهة أخرى.

وعدَّ الدكتور شوقي ضيف الشاعرَ فتيان الشاغوري من أبرز شعراء الشكوى في العصر الأيوبي[٨]، إذ تنوعت بواعث الشكوى عنده وجاءت من أحوال اجتماعية مختلفة.

*****

١- شكوى فراق الإخوة والأصحاب:

شكل الفِراق عند فتيان الشاغوري باعثًا لشعر الشكوى " بعيدا عن التكلف والمبالغة، وقد غلبت عليه خفة الظل والدماثة... ينفس عن آلامهم المكبوتة التي وجدت ملاذًا لها وراحة في مثل هذا اللون "[٩]، وكان سفر الإخوة وبعادهم ذا أثر في نفسه، فأخذ الشوق إليهم والحنين؛ لوصلهم مأخذًا في وعيه، فعبر عن شكواه في قصائد شعرية اتسمت بالصدق الفني والشعوري، في تجلية مشاعر الحزن والألم وأحاسيس الحرمان من البعاد، ومن هنا كانت الشكوى محطًا للأشجان والبكاء تصبُّ فيها روافد الهم والأسى يطرقها الشاعر بتأثير الفِراق الذي يقض مضجعه، فكانت شكواه نابعة من القلب الذي يصدح بها لعل العود قريب؛ ليصل الرحم بعد غياب، ويجتمع الشمل من جديد، وكان فراق الأصحاب ممن لهم وقع في حياته، مصدرًا للشكوى إلى جانب فراق الإخوة؛ فكان يذكرهم بمشاعر تعج بالمعاناة والحزن.

ويشكو الشاعر فراق إخوته وبعدهم عنه، فيقول[١٠]:

يـــا إخـــوَتي حـــالي بعـــدَكمْ عَجَـــبُ	نَـــأَيْتُمْ فَشُـــهوري كلُّهـــا رجَـــبُ
أَظميـــتُمُ الصَّـــبَّ فاستســـقى الجفـــونَ دَمًـــا	فَحَبَّـــةُ القلـــب فيهـــا أَنْبَـــتَ اللَّهَـــبُ
عَيْنـــايَ عَينـــانِ إنســـاناهُما غَرَقـــا	كلاهُمـــا، هـــلْ إلـــى إنقـــاذهِ سَـــبَبُ
قلبـــي بِجلِّـــقَ حـــرّانٌ بمصـــرَ أَسًـــى	وصـــحنُ خَـــدّيْ لأَجفـــاني بـــه حَلَـــبُ
لـــي بَعـــدَكم زَفَـــرَاتٌ نارُهـــا صَـــعَدٌ	تُشِـــبُّها عَبَـــراتٌ ماؤهـــا صَـــبَبُ
مـــا تســـتطيعُ الجبـــالُ الشـــمُّ حَمْـــلَ صـــبا	بـــاتي فمـــاذا عســـى أَن تَحمِـــلَ الكُثُـــبُ

يتوجه الشاعر إلى خطاب إخوته بأسلوب النداء (يا إخوتي)؛ ليبث حنانه وعطفه، ويكشف شكواه من فراقهم، وحالته التي تحولت للعجب بعدهم، فشهوره رجب كلها يعني منفرد عن

الناس كما شهر رجب منفرد عن أشهر الحرم؛ للدلالة على العزلة والابتعاد عن الناس في حياته ومقاطعتهم، فدموعه كالدم تسيل على خديه، ويشتعل قلبه نارًا ذات لهب، لشدة حرقته واشتياقه، فقلبه معلق بدمشق (جلق) ويقطر أسى وحزنا في مصر على إخوته، حتى أصبح خده وعاءً تنسكب فيه دموعه؛ لكثرتها وغزارتها على فراق إخوته؛ ليتنفس نارًا تلتهب في صدره، وعبرات دموعه تصب صبًا ولا تستطيع الجبال العظيمة حمل صباباته، ولا أن تصف الكتب والرسائل مشاعره الإنسانية، فكانت الشكوى مظهرًا إنسانيًّا يبين شدة حبه؛ لإخوته وتعلقه بهم، ولا قدرة له على فراقهم.

ويشكو الشاعر فِراق أخيه الأجل عماد الدين رسلان بن علي الذي حرق قلبه فراقه، إذ يقول(١١):

لِيْ أَدُمعٌ تَنشُرُ في الخدِّ الأَسى وأَضلعٌ مَطوِيَّةٌ على الأَسفْ

فإِنْ شَكَكْتُمْ فاسألوا مدامِعي ما جاهلٌ بقِصَّةٍ كمنْ عَرَفْ

قد وقَفَ القلبُ على حَرِّ الأَسى مُذْ بانَ عني راحِلًا وما وَقَفْ

أُكفكِفُ الدمعَ بخَدِّي قانيا فأنثني من أَدمعي خَاضِبَ كَفْ

بُؤتُمُ بإِثمي يومَ توديعِكُمُ فأُودِعَ القلبُ لهيبًا ولَهَفْ

عودوا فعودوني لِتَحْيا مُهْجَتي ويعفُوَ اللهُ لكم عمَّا سَلَفْ

جودوا لنا بكُتْبِكم فإنكم بالكُتْبِ منا تتلافَوْنَ التَّلَفْ

تتجلى الشكوى في النص الشعري من ألم فراق أخيه الذي شكل عنده قصة حزن أركانها: الدمع والأسى والقلب، إذ كانت الدموع التي ذرفها منطلقًا للشكوى، فكررها مرارًا وتكرارًا (لي أَدمعٌ، فاسألوا مدامعي، أُكفكف الدمعَ، أَدمعي خاضب)؛ ليؤكد شدة شوقه لأخيه، وحرقة قلبه عليه، فالدموع جرحت خدوده من كثرة البكاء حتى تخضبت يداه بالدمع القاني/ الأحمر، وهي الشاهد على حزنه وشكواه، أما القلب فيحترق ألمًا وحسرة، وأسكن فيه الحزن والأسى يوم توديعه، وهذه حقيقة المأساة التي عاشها الشاعر بفراق أخيه، وتترسخ معاني الشكوى باللوم والعتاب، إذ جعل من البعد والفِراق والتوديع سببًا لقطع الرحم بينهما، فيلتمس الشاعر من أخيه العودة والزيارة ؛ لتحيا روحه ويسعد قلبه، وتلتئم جراحه، ويعفو الله عما عاناه وتحمله من قسوة الفِراق، وإن لم تتحقق العودة أو الزيارة يجعل من المراسلات، والكتب نوعًا من الكرم والسخاء عليه؛ لحفظ روحه من التلف من شدة شوقه وحرقة قلبه.

ويشكو الشاعر من فِراق أخيه، إذ يقول(١٢):

أَخي! إنَّ في قَلْبي إليْكَ صَبابَةً مُقَسِّمَةً أَجْزاءَ جِسْمي عَلى السَّقَمْ

شَـــرابي دُمـــوعي والـــدِّماءُ مِزاجُهـــا فَهُنِّئْـــتَ كاســـاتِ ابْنَـــةِ الكَـــرْمِ والكَـــرَمْ

ولا زِلـــتَ مِـــنْ خَـــوْفي عَلَيْـــكَ مُسَـــلَّمًا وعِشْـــتَ سَـــعيدًا فـــي النَّعـــيمِ وفـــي الـــنِّعَمْ

مَـــدَى الـــدَّهْرِ مـــا هـــاجَ المُحِـــبّ تَـــذَكُّر الحَبيـــبِ ومـــا أُفْضـــي بِسِـــرّ إِلـــى قَلَـــمْ

فَكَـــم لَيْلَـــةٍ، وَاحَـــرَّ قَلْبـــاهُ، بِتُّهـــا أَهـــيمُ غَرامًـــا بِالَّـــذي قَلْبُـــهُ شَـــبِمْ

يخاطب الشاعر أخاه بأسلوب النداء (أخي)، فيشكو من شدة شوقه إليه وحبه، الذي توزع، وتقسم على أجزاء جسمه المريض، فأصبح شرابه دمعًا مازجه الدم بدل كأس الخمرة، ومع هذه الحالة النفسية المتعبة من الفراق، يدعو لأخيه بالعيش السعيد، والنعمة التامة بلا نقصان، فتتجلى الشكوى من قسوة قلب أخيه الذي لم يذكره بكتاب يطمئن عليه، فالشاعر أكثر من الليالي التي سهرها، بدلالة كم الخبرية (فكم ليلةٍ)، وهو يذكر شوقه لأخيه ووده، فاستحضر شكوى المتنبي بقوله[١٣]:

وَا حَـــرّ قَلْبـــاهُ ممّـــنْ قَلْبُـــهُ شَـــبِمُ وَمَـــنْ بجِسْـــمي وَحـــالي عِنـــدَهُ سَـــقَمُ

للدلالة على أن شكواه لا تقل عن شكوى المتنبي واقعًا وحضورًا، فألم الشوق والحب مصيبة القلب وفاجعته، لمن لا يأبه له.

ويشكو الشاعر من لوعة فراق أخيه وبعده عنه، فيقول[١٤]:

عَـــدِمْنا الْكَـــرى مِـــنْ بَعْـــدِكُمْ لا عَـــدِمْناكُمْ ولَـــمْ نَصْـــحُ مِـــنْ سُـــكْرِ الهَـــوى مُـــذْ هَوَيْنـــاكُمْ

وأَغْرَيتُمونـــــا بِالصَّـــــبابةِ بَعْـــــدَكُم فَقولـــوا لَنـــا مَـــنْ بِالقَطيعَـــةِ أَغْـــراكمْ

غَزَتْنـــا جُيـــوشُ الْوَجـــدِ فَانفَـــلَّ صَـــبْرُنا أَلاَ فَانصُـــــرونا عـــــاجِلًا بِسَـــــرَاياكمْ

مَتـــى نَشْـــتَفي مِـــنْ بُعْـــدِكُم بِـــدُنُوّكُم وتَجْمَعُنـــــا دارُ التَّـــــداني وإِيّـــــاكمْ

أَحِبَّتَنـــــا بِـــــاللهِ هَـــــلْ تَـــــذْكرونَنا فإِنّـــا طَـــوالَ الـــدَّهْرِ لَـــمْ نَـــنْسَ ذِكْـــراكمْ

رَمَتنـــا فَلَـــمْ تُخْـــطِ الْقُلـــوبَ نَـــواكُم بِأَسْـــهُمِها مُـــذْ أَبْعَـــدَ الْبَـــيْنُ مَرْمـــاكمْ

ولَـــوْلا النِّـــوى لَـــمْ نَشْـــكُ مِـــنْ لَوْعَـــةِ الأسـى ولَـــوْلاكُم لَـــمْ نَعْـــرِفِ الْوَجْـــدَ لَـــوْلاكمْ

قَطَعْـــتُمْ وَصَـــلْناكُم، نَســـيتُمْ ذكَرْنـــاكمْ، أَضـــعْتُمْ حَفِظْنـــاكُم، غَـــدَرْتُمْ عَـــذرْناكُمْ

يعاني الشاعر من السهر والأرق، وهجر النوم من عينه بسبب غياب أخيه عنه، وشدة حبه، إذ أخذه الشوق والحنين إليه، فسلب مهجته، وقل صبره، فغزته جيوش الحزن والهموم، ويحث أخاه على النصرة بعودته؛ ليشفى بقربه والإقامة معه، ولكن يبدو اللقاء بعيد المنال، إذ إنَّ "فِراق الأحبة من أعظم الأمور التي تحزن القلب، وتجعل الألسنة تشكو الفراق، وتتذكر صحبتهم وعشرتهم، ووقع الفراق على... الغائب أشد ألمًا، وأوقع أثرًا"[١٥]، فيشكو الشاعر للمقارنة بين

حـالين، حالـة أخيـه التـي عبـر عنهـا بالاسـتفهام (هـل تـذكروننا)؛ ليثبـت الشـاعر حالتـه أن ذكـرى أخيـه لا تفـارق خيالـه؛ فهـو فـي البـال دائمـا، ولـم يـنس ذكـره مهمـا طـال الـزمن، ولـولا بُعـد أخيـه وهجـره لـم يشكو مـن الحـزن والألـم، ولـولاه لـم يعرفـه الحـزنُ أبـدا، ويكشـف الشـاعر شكواه ويحمـل أخـاه مسـؤولية عذابـه، الـذي يقطـع ويصـله، ونسـيه فيـذكره، وهجـره فحفظـه، وغـدر بـه بـالهجر والبعـد فعـذره، إذ شـكل الترصـيع فـي البيـت الأخيـر موسـيقى تعبـر عـن صـوت الحـزن وشـكوى الضـمير وآلام القلـب المكلـوم مـن بُعـد أخيـه وهجـره، بينمـا الشـاعر كـان يمدحـه ويـذكره بأحاديـث الوصـل، والحفـاظ علـى أوآصـر القربـى، والتماس العذر له.

ويكـرر الشـاعر شـكواه مـن فِـراق أخيـه الـذي أشـعل النـار فـي قلبـه مصـرحًا بالغيـاب والقلـق والاشتياق، فيقول(١٦):

غِبْـــتُمْ فَأَوْحَشْـــتُمُ مُـــذْ غِبْـــتُمُ الـــدارا فشَـــوْقُنا واقِـــعٌ والصَّـــبْرُ قَـــدْ طـــارا

اللهُ يَعْلَـــــمُ أَنّـــــي بَعْـــــدَكُم قَلِـــــقٌ أَسُـــحُّ دَمعًـــا عَلـــى الْخَـــدَّيْنِ مِـــدْرارا

لَـــوْ أَنَّ نـــارَ اشْـــتِياقي بَعـــدَ بُعْـــدِكُم دَنَـــتْ مِـــنَ النّـــارِ كـــادَتْ تُحْـــرِقُ النّـــارا

يشـكو الشـاعر مـن غيـاب أخيـه وبعـده عنـه، ممـا شـكل عنـده هاجسًـا موحشًـا، وشـعورًا مؤلمًـا، حتـى صـارت الـدار موحشـة غريبـة لا راحـة فيهـا ولا نعـيم ولا هنـاء فيهـا الحيـاة صـعبة العـيش تلازمهـا الأحـزان ولوعـة الفـراق، فلـم يعـد يصـبر علـى بعـاد أخيـه، إذ تمكـن الشـوق منـه، وأحـال حياتـه إلـى قلـق دائـم، ودموعـه علـى خديـه لا تنقطـع ممـا أشـعل نـار الشـوق فيـه دلالـة علـى مـرارة العـيش وحرقتـه، بغيـاب أخيـه وبعـده، فمـن أهـم مسـببات القلـق للـنفس واضـطرابها القـوة الأربعـة: الضـغوط، والشخصـية، والإنهـاك، والاغتـراب(١٧)، أن تأكيـد الشـاعر علـى ألفـاظ الشـكوى ودلالاتهـا (غبـتم، أوحشـتم، فشـوقنا، الصـبر، قلـق، بُعـدكم، تحـرق) تبعـث فـي الـنفس مـرارة العـيش وحرمانـه مـن بعـد الأخ.

ويشكو من فِراق الأحباب، فيقول(١٩):

ســـاعةَ البـــينِ إنَّمـــا أَنـــتِ كالسّـــا عـــةِ تـــأتي ومالهـــا مـــن فُـــواقِ(١٨)

نحـــنُ فـــي ظلْمَـــةِ الفِـــراق فهـــلْ يُـــرْ جـــى لشـــمسِ اللّقـــاءِ مـــن إشـــراقِ

مِـــن دُمُـــوعي ومـــا تُجِـــنُّ ضُـــلُوعي أَنـــا بـــينَ الإغـــراقِ والإحـــراقِ

بـــلَّ دَمعِـــيْ إلاَّ غَلِيلـــي وأَفْنـــى الوجـــدُ كُلِّـــي إلاَّ الأَســـى فهـــو بـــاقِ

لسـتُ أَشـكو مـا بـي إلـى الخَلْـقِ لكنَّـ ـــيَ أَشـــكو بثّـــي إلـــى الخـــلاّقِ

تطفـو الشـكوى وتعظـم سـاعة الفِـراق والبُعـد؛ ليكشـف الشـاعر عـن عمـق مأسـاته وقسـوتها، وهـذا الفِـراق أشـبه بسـاعة المـوت، وأفـاد الشـاعر مـن الجنـاس التـام فـي لفـظ (السـاعة)، ويتمنـى

الشاعر بحرف الاستفهام(هل) الذي خرج إلى التمني أن يخرج من ظلام الفِراق وعتمته إلى نور اللقاء وإشراقه، وتسكن عيونه من الدمع، وتطفئ نار شوقه بين أضلعه، بعدما كانت دموعه / الإغراق؛ لكثرتها وغزارتها، وضلوعه/ الإحراق؛ لشدة نارها وحرارتها التي حرقت قلبه، وبهذه الحالة أضحت حياته بين الأسى والوجد، والشاعر هنا لا يشكو حاله إلى الناس، إنما يشكو همه إلى الله (سبحانه وتعالى) وحزنه، وأفاد من قصة نبي الله يعقوب (عليه السلام)، عندما شكى بثه وحزنه إلى الله في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦ ﴾ يوسف: ٨٦ [٢٠]؛ للإفادة من الأسلوب القرآني في التعبير عن الشكوى، وتعد هذه "الظاهرة من أوسع الظواهر انتشارًا في معاني الشكوى، فقد قام عدد كبير من الشعراء باستحضار معاني القرآن الكريم، ووضعوها أمام قرائحهم؛ لينهلوا منها في كل وقت، ويستلهموها في كل حين، ويستعينوا بها في توضيح معانيهم، وتقرير أفكارهم، وتجلية أغراضهم كلما سنحت لهم الفرصة، وواتتهم القريحة"[٢١]، فقد استعان الشاعر في إبراز المعنى، وصورة الشكوى بمعنى الآية الكريمة ومضمونها.

ويشكو الشاعر من فِراق الملك الأمجد[٢٢] وبعده عنه، فيقول[٢٣]:

قلبي إليكُم من الأَشواق يَضطَرِبُ ... بِنْتُم وأنْتُم مُناهُ فَهُو مُكْتَئِبُ

نَفَيْتُمُ أُنسَهُ عنه بِبَينِكُمُ ... لا يُوجَدُ الحُكْمُ حتى يوجَدَ السَبَبُ

لم أَلْقَ من أحَدٍ إلا وأنشَدَني ... (ما بال عينك مِنها الماءُ ينسكبُ)

فليَعْجَبِ النَّاسُ مِنّي أَنني شَرِقٌ ... بماءِ عينَيَّ والأَحشاءُ تلتهبُ

يَكاد قلبي، وما أَخْلاَ صَبَابَتَهُ ... إذا ذكرتُكَ من حَيْزومِه يَثِبُ[٢٤]

يشكو الشاعر الفِراق، فيصف معاناة قلبه، وشدة شوقه إلى الملك الأمجد وحزنه، حتى أصبح قلبه (يضطرب، مكتئب، نفيتم أنسه، تلتهب)، كلها معانٍ ودلالات تحمل في طياتها الألم والحزن والاكتئاب بسبب الفراق الذي بينه وبين الملك ومناه أن يعيش إلى جانبه في وصل دائم، ولم يعد يأنس شيئًا بسبب البين، مما جعل دموعه تنسكب على خديه كالماء كثرة وغزارة، وأصبح محط سؤال الناس وعنايتهم وعطفهم، فيشرق بدموعه دلالة على كثرة بكائه وشدة حرارتها، إذ يحمل الشاعر تلك المشاعر الإنسانية التي تعبر عن حبه للملك الأمجد وتقديره، فإذا ذكره يضطرب قلبه وسط صدره دلالة على سرعة دقاته وشدتها، مستحضرًا قول ذي الرّمة[٢٥]:

ما بال عينك مِنها الماءُ ينسكبُ ... كأَنَّهُ مِن كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ

دلالة على تشابه مشاعر الألم والحزن والفراق من جهة، وكشف حالته النفسية، وما أصابه من لوعة الفراق وألمه من جهة أخرى.

ويشكو الشاعر فِراق الأمير بدرالدين مودود[٢٦] والي دمشق، فيقول[٢٧]:

هَـــــل دهرُنـــــا الماضـــــي يَعـــــودُ ويَصُـــــــدُّ عنَّـــــا ذَا الصُّـــــــدُودُ

بِنْـــــتُمْ فَنَـــــوْمِيَ عـــــن جُفـــــو نـــــي بَعْـــــدَ بُعْـــــدِكُم شـــــريدُ

فَـــــــالموْتُ عِنـــــــدي والنَّـــــــوى سِـــــيّانِ مَـــــنْ لـــــي أَنْ تَعـــــودوا

كانـــــــــتْ لَياليـنـــــــــا بِكـــــــــمْ بيضًـــــــا وهُـــــــنَّ الآنَ ســـــــودُ

يستفهم الشاعر بأسلوب التمني عن عودة الماضي الجميل الذي يبعد الخلاف ويدني الائتلاف، ويصرف شر الأيام والليالي، فمنذ أن أبعده الأمير عنه وهجره أصبح الشاعر لا يذوق طعم النوم، ولا راحة له في حياة تعج بها المصائب وفِراق الفتن، فأصبح الموت عنده والبعد متشابهين في الحزن، ووقع المصيبة وألمها، ويسأل الشاعر نفسه مشتكيًا ومتمنيًّا في الوقت نفسه من له في عودة الليالي إلى سابق عهدها مع الأمير بدرالدين التي كانت بيضًا به حسنة بوجوده جميلة بقربه، وبعد فِراقه له وقطع التواصل معه، فغدت الليالي سودًا مظلمه موحشة، وضاقت به السبل بدونه، إذ استثمر الشاعر التضاد اللوني بين الأبيض والأسود؛ للتعبير عن شكواه من فِراق الأمير وامتعاضه، وتبرمه من سوء العلاقة بينهما، فضلا عن حسرته على الماضي الجميل وحرقته من الفراق.

*****

٢- شكوى الفقر وضعف الحال:

تحتل الشكوى من الفقر "المركز الدلالي في وعي الشاعر، فهي مناط تركيزه، وتقع في محور اهتمامه ومعاناته الشعورية، وهي المحرك الأساس لقلقه"[٢٨]، إذ عانى الشاعر فتيان الشاغوري فقرًا مدقعًا، وضعف حال، وفاقة في حياته انعكسا في شعره وحضرا في تجربته، وهو الأديب الأريب والشيخ العالم الذي يعيش الكفاف والعوز، فليس لديه طعام لأطفاله، أو مأوى لعياله، فشكل عنده القلق "حالة من الخوف الغامض الشديد، الذي يتملك الإنسان، ويسبب له كثيرًا من الكدر، والضيق، والألم"[٢٩] ، فكثرت شكواه واستطالت؛ لتعبر عن واقعه وحاضره.

وتتجلى شكوى الشاعر من فقر حاله، وضعف بدنه إلى الشيخ تاج الدين الكندي[٣٠]، وقد أَبلَّ من مرضٍ أَصابه، إذ يقول[٣١]:

فَوافـــــاني البَشـــــيرُ بِبُرْئِـــــهِ مِـــــنْ شَـــــكِيَّتِهِ، فَقَبَّلْـــــتُ البَشـــــيرا

ولَـــــوْلا أَنَّنـــــي رَجُـــــلٌ فَقيـــــرٌ لَجُـــــدْتُ بِرِشْـــــوَةٍ تُغْنـــــي الفَقيـــــرا

ولكِنَّـــــي عَلـــــى مِقْـــــدارِ حـــــالي الضَّـــــعيفِ نَـــــذَرْتُ للهِ النُّـــــذُورا

ولَـــــوْلا الضَّـــــعفُ جِئْـــــتُ إليـــــكَ أَسْـــــعى لِأنظُـــــرَ وَجهَـــــكَ القَمَـــــرَ المُنيـــــرا

استبشر الشاعر بشفاء صاحبه الشيخ تاج الدين الكندي من مرض ألمَّ به، فقبل البشير على الخبر الجميل، وأراد أن يكرمه لولا فقر حاله، وضعفه الذي منعه، ولكنه نذر نذرًا لله تعالى، فلم يستطع زيارة صاحبه؛ ليرى طلته المشرقة؛ فـ " الشكوى من الفقر شكوى ذاتية، فالذات تشكو نتيجة مظاهر التوجع من الفقر والحرمان والإحساس بذات مثبطة"[٣٢]، فكثرت ألفاظ الشكوى في النص: (فقير، الفقيرا، الضعيف ، الضعف)؛ لتدل عليها دلالة متصلة في تجربته ووعيه.

ويشكو الشاعر الجوع في ليلة قضاها في مقام نبي الله إبراهيم (عليه السلام) بقرية برزة[٣٣]، إذ يقول[٣٤]:

يـــا ليلَـــةً بِتْنـــا بِبَـــرْزَةَ نَشْـــتَكي ... عَـــدَمَ القِـــرا بِمَقـــامِ مـــن سَـــنَّ القِـــرا

بِتْنـــا وبـــاتَ البَـــرْدُ يَنْفُضُـــنا إِلـــى ... أَنْ كـــاد يَفْصِـــمُ مـــن مَفاصِـــلِنا العُـــرى

قُلْنـــا لِقَيِّمِهـــا وقـــد وافـــى بِشَمْـــ ... ـــعَتِهِ فَصـــارَ العُـــرْفُ مِنّـــا مُنْكـــرا

قـــدِّمْ إِلينـــا شَـــبْعَةً لا شَـــمْعَةً ... فـــالجوعُ عَـــنْ أَجفانِنـــا طَـــرَدَ الكـــرى

ودَعِ الظَّـــلامَ يَلُفُّنـــا فـــي مِثْـــلِ مـــا ... اختـــارتْ بنـــو العَبّـــاسِ لِبْسًـــا فـــي الـــوَرى

يصور الشاعر ليلة شديدة البرد في مقام إبراهيم (عليه السلام) بقرية برزة، ويعجب أنَّه لم يجد من يضيفه ويقيه بردها الشديد، بمقام عرف بكرم الضيافة، وقد أنكر الناس عليه ضيافته، فاقض الجوع مضجعه، وطال ليله، فيرجو أكلة تشبعه، وتسكن جوارحه، لا شمعة تقتل الظلام وتنير ليله؛ فكاد يموت جوعًا، فكشف الجناس الناقص (شبعة ، وشمعة)؛ للدلالة على شدة جوعه، فالشبع مع سواد الليل أفضل من الجوع بشمعة تطرد ظلام الليل، فجعل السواد بين الناس؛ للدلالة على العظمة والوقار والقداسة؛ لأنَّ بني العباس اختاروا لبس السواد.

وتتجلى شكوى الشاعر بعرض حال عياله على الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل[٣٥]، إذ يقول[٣٦]:

هَيْهـــاتَ يَـــأْبى الشُّـــرْبَ مَـــنْ فـــي قَلْبِـــهِ ... بَلْبـــالُ هَـــمٍّ بِالعِيـــالِ مُوَسْـــوَسِ[٣٧]

عِنـــدي أُوَيْـــلادٌ كـــأَفراخِ القَطـــا ... إِنْ بِنْـــتُ عَـــنْهمْ مـــا لهُـــمْ مِـــنْ مُـــؤْنِسِ

اللهُ لـــي ولهُـــمْ وجُـــودُ الأشـــرَفِ الْمَلِـــ ... ـــكِ الّـــذي مِـــنْ جـــودِهِ لَـــم أَيْـــأَسِ

يبث الشاعر شكواه مفعمة بالهم والوسوسة (بلبال) بما يمر به من ضيق الحال وضعفه، خوفًا على عياله من الحياة التي اتعبتهم، وهو يكد أمامهم لعيش كريم، ولا يستطيع فراقهم والبعد عنهم؛ لأنهم صغار ضعاف لا قوة لهم على مواجهة قسوة الحياة ولا أنيس لهم ولا مؤنس، كأنهم أفراخ القطا، فجاء التشبيه بكل أركانه لشدة المماثلة والمشابهة في (أُويلاد كأفراخ القطا)؛ للدلالة

على صغر سنهم، وحاجتهم للرعاية، فما كان من الشاعر إلا أن طلب سدَّ رمقِ جوعِهم بتوفيق الله (سبحانه وتعالى) له ورزقه.

ويستغيث الشاعر شاكيًا إلى صلاح الدين الأيوبي[٣٨]؛ كي يجيره في سنة غبراء ممحلة، إذ يقول[٣٩]:

إليكَ صلاحَ الدينِ سارتْ مدائحِي ومثلُكَ من تزكو لديه الفواضِلُ

أَجِرني من فَقرٍ مُلِحّ وإنْ أَقُلْ أَجِرني فكُلٌّ مِنك لا شَكَّ حاصِلُ

إذا السَّنَةُ الغبراءُ أَنْحَتْ لها على رِقابِ الوَرَى في الخافِقَين كلاكلُ[٤٠]

وقد كَلَحتْ عن عُصلِ أَنيابِ بَأْسِها كما يَكشِرُ الضِرغامُ فالخِطْبُ هائِلُ

فليسَ لها في جُودِ غيرِكَ مَطمَعٌ ولا عندَ من ترجُوهُ غَيْرَكَ طائلُ

وصلت الشكوى إلى حد الاستغاثة (أجرني) مرتين لشدة فقره وحاجته، مؤكدًا الشاعر أن الاستعانة حاصلة في سنة غبراء/ شديدة انحنت لها الرقاب؛ لقساوتها وشدت أنيابها عليهم وقوتها، فهي أسد كشر عن أنيابه عند صيد طريدته، ولا خلاص من ذل الفقر إلا بصلاح الدين الأيوبي فلا يطمع في عطاء غيره، ويكشف التشبيه: (كما يكشر الضرغام) ؛ عن دلالة قوة بأس السنة الغبراء وصلابتها، فهي تأكل الرقاب كما يأكل الأسد فريسته.

يشكو الشاعر وهن العزيمة، وضعف الحال وقسوتها، إذ يقول[٤١]:

أَأَرْهَبُ من رَمْضاءِ عُسْرٍ وظِلُّهُ مَديدٌ لِمَنْ يَأْوي إليه ظَليلُ

لَقَدْ أَبَتِ الأَيّامُ إلّا خَصاصتي بِهِنَّ فَهلْ عندي لَهُنَّ ذُحولُ[٤٢]

ولا بُدَّ أَنْ آوي إلى ملِكٍ بِهِ على جَيشِ لَزْباتِ الزَّمانِ أَصولُ

ولو أَنني أَستطيعُ زُرْتُ مُمَلَّكًا جَداهُ على عافي نَداهُ هَطولُ

ولكنَّ ضَعْفَ الحالِ أَوهى عَزيمتي فسُقْتُ إليهِ الشِّعْرَ وهُو رَسولُ

أبان الشاعر بالهمزة الاستفهامية (أأرهبُ من رمضاءِ عسرٍ) عن شدة شكواه مما يلاقيه، وفزعه من عسر الحال، وضعفه مصرحًا بعداء الأيام له، فجعلته في خصاصة شديدة ممتدة، طالبًا العون على زمن قل فيه المساعد، فيأوي إلى ملك جاعلًا من أبيات الشكوى رسولًا لعرض حاله، وبيان فاقته في أيام محن سود وهنت فيها عزيمته وارتفعت شكواه .

تتجلى شكوى الشاعر إلى الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب[٤٣]، إذ يقول[٤٤]:

هُوَ اللَّيثُ بأسًا لكِنِ اللَّيثُ عابثٌ قَطوبٌ وعيسى لم يَزَلْ يتبَسَّمُ

مليكِـــيَ بالشِّـــعْرى وقـــدْ حيـــلَ دونَـــهُ ومـــا لـــيَ دينـــارٌ ولا لِـــيَ دِرْهَـــمُ

وأَنـــتَ الَّـــذي قَـــدْ طَبَّـــقَ الأَرْضَ جـــودُهُ فلَـــيْسَ بِهـــا غَيْـــريْ مِـــنَ النَّـــاسِ مُعْـــدِمُ

فـــأَطْلِقْ يـــدي فيمـــا تملَّكْـــتُ آنفًـــا وأَنعِـــمْ بـــإِحْلالي فَـــإِنّي مُحَـــرَّمُ

يشكو الشاعر إلى الملك المعظم فِراقه بسبب قلة المال وعسره ، فليس له نقد من دينار ولا درهم لزيارته والتواصل معه، وفي الوقت نفسه عمَّ الأرض جوده فعم الناس كلهم، إلا الشاعر فأنه محروم وبقي معدمًا، فيرجو المساعدة ممن يملك العطاء الإنعام؛ فالشكوى من" الفقر ذاتية انفعالية، تصدر عن نفس قلقة ماديًا ومعنويًا"[٤٥]، فتجلت الشكوى، وكأنها صرخة على ظلم أهل الزمان له، بإفقاره وعدم قدرته على العيش كما يعيش الآخرون من حوله بنعيم الملك، فترسخت الشكوى في ذهن المتلقي بإشارات عن فقره وعسر حاله، وطلب رفع الحيف عنه.

وترد الشكوى ضمنية بصورة مفردة تقوم على الإشارة والتلميح؛ إذ يقول[٤٦]:

لقد هَتَفَتْ يُمناه في الدَّهرِ بالغنى فما أَحدٌ غيري بهِ يشْتَكي الفقرا

يظهر الشاعر شكواه من الفقر وضعف الحال، فلا إنسان يشكو شكواه من العوز والحاجة في زمن الحرمان والفاقة؛ فجاءت صورة التضاد بين (الغنى، والفقر) هتافًا بالشكوى رجاء أن يوهب المال؛ ليزيل عنه الفقر وعسر الحال.

*****

٣- الشكوى من نوائب الزمن وجوره:

يشكو الشاعر فتيان الشاغور من أهل الزمان جاعلًا منهم سببًا في معاناته ومأساته؛ بفقدان العدل في الأحكام بين الناس وغياب المساواة، إذ أصبح الزمان "رمزًا لمحنة الشعراء يشكونه بمشاعر شجية حزينة؛ لينفسوا عن همومهم، ويعبروا عمّا في دواخلهم من سخط ونقمة؛ لانتشار الظلم، واضطراب الأمور، وفساد النظم، وتدهور الأوضاع، واختلال موازين الحياة"[٤٧]، فانطلقت الشكوى في شعره ؛ لتظهر أخلاق الناس، وتستعرض مساوئهم في التعامل، برفع الوضيع، وإهانة الكريم في قلب للمنطق، وتبادل للأدوار، فظهرت في زمانه المصالح والمنافع، بعيداً عن المسؤولية المشتركة أيام المحن والمصائب، فالشكوى من نوائب الزمان "تعبير رمزي عن عجز الأنسان عن تحمل الأعباء، إذ يضيق بها ذرعًا، ولم يجد في صدره القدرة على الاحتفاظ بها طويلًا، فيشكو الشاعر من الألم إذا صار خارجًا عن حدود التصور والمعقول؛ لأنه تعبير عن امتلاء زمانه بالمظالم، مما يسبب قلق الشاعر مما يحيط به"[٤٨]، فراح الشاعر يكيل لهم الشتائم والصفات القبيحة، ويعيب على الزمان الذي رفع من شأنهم وقدرهم شاكيًا من غدر أهل الزمان، وسائلًا عن أهل الوفاء، إذ يقول[٤٩]:

أَوقـاتُ غَـدْرِ زمـاني بـي غَـدَتْ عَجَمًـا فهـلْ وفـاءٌ تـوافيني بـه العَـرَبُ

يؤكد الشاعر شكايته من غدر أهل الزمان، وكأن الزمان غريب لا يحبه ولا يرضاه، ويكن له الغدر والخيانة، في كل وقفة معه، فيستفهم بـ(هل) عن الوفاء الذي عرف عند العرب،

وكأنه يقول للدهر كن مثل العرب وفيًّا معي، ولا تغدر بي، فتتجلى الشكوى من الطباق بين (العجم، والعرب)؛ ليكشف عمق مأساته وعظيم معاناته مستنهضًا الوفاء والإخلاص في النفوس.

ويكابد الشاعر جور الدهر وظلمه، إذ يقول(٥٠):

إنْ كـــان يُســـعِفني زمـــاني بالرضـــا مـــن بَعـــدِ إسْـــخاطي فهـــذا وَقْتُـــهُ
أَشـــكو إليْـــهِ جَـــوْرَ دَهْـــرٍ قاســـطٍ ظُلْمًـــا فَكَـــمْ كَبَـــدٍ بـــه كابَدْتُـــهُ(٥١)
عِنـــدي أُطَيْفِـــالٌ كـــأفراخِ القَطَـــا فـــي مَســـكَنٍ كالنَافِقَـــاءِ سَـــكَنتُهُ(٥٢)
أصْـــحُو بـــلا مـــاءٍ ولا شـــجرٍ ولا بُـــرٍّ ولا خُبـــزٍ لـــديّ أَقُتّـــهُ
مـــا كانـــتِ الشـــكوى لِمِثْلـــي عـــادةً وَلَـــوَ أَنَّ مـــا بـــي بالعُـــدوَّ رحَمتُـــهُ

يشكو الشاعر من دهره الذي جار عليه طويلًا، وحاد عن الحق ظلمًا، وكابد الألم والحزن في حياة لم ترفق به وبأطفاله الصغار/ كأفراخ القطا لا قدرة لهم بالطيران وكسب قوتهم ولا حماية أنفسهم، إذ لم يجد لهم سكنًا يحميهم من حر الصيف وبرد الشتاء، فشكل التشبيه دلالة عجز أطفاله وضعفهم، فهم يسكنون في بيت يشبه النافقاء/ حجر اليربوع، دلالة على بساطته وخلوه من الماء والأكل، فتداخل بذلك مع قول الحطيئة(٥٣):

مـــاذا تقـــولُ لأفـــراخٍ بـــذي مَـــرَخٍ حُمْـــر الحواصِـــلِ لا مـــاءٌ ولا شـــجَرُ

يصرخ بشكواه وهي لم تكن له عادة؛ لعدم قدرته على تحمل مصائب الدهر التي لم ترأف بحاله وحال أطفاله، فيطلب الرحمة من تلك الحياة الصعبة، ومن زمان ظلمه فلا مأوى له ولا مأكل ؛ ليكون مشردًا، ويصور شكواه بالمفارقة، لو كان عدوه مثل حالته من البؤس والفقر؛ لرحمه من ظلم الدهر وعزه.

ويشكو الشاعر زمنه الذي أراق ماء وجه، ولم تعد تقبل به النساء الجميلات، إذ يقول(٥٤):

حـــينَ شَـــبابيْ مـــا هُرِيـــقَ مـــاؤُهُ ولا كَبَـــا عنـــدَ الحِســـانِ زَنْـــديْ
والآنَ بِـــيْ مـــن زَمنـــي ضَـــمَانةٌ ضَـــامِنةٌ للكاشِـــحِينَ فَقْـــديْ
إن لـــم تَـــدارَكني أَيـــاديْ المَلِـــكِ الظَّـــاهِرِ خَيْـــرُ مُنجـــدٍ ومُعـــديْ
فهـــا أَنـــا الآن علـــى دَهْـــرِي إلـــى معروفـــهِ وعَدْلِـــهِ اَسْـــتعدِيْ
مَلْـــكٌ مـــن الـــدهرِ يُجيـــرُ ناسَـــهُ ولا يُجـــار منـــه غُلْـــبُ الأَسْـــدِ

يعقد الشاعر مقارنة بين زمن الشباب الذي اتصف بالقوة والنضارة، وبين زمن الكهولة الذي أضعف بدنه، وأذهب حسنه، وهيأ له الزمن أناسًا يكنون له العداوة والبغضاء، فأصبح مفقودًا

لا يستطيع الرد عليهم، فتتجلى الشكوى باستغاثة الملك الظاهر، واستدرار عطفه، بوصفه (خير منجد ومعدي)، فنوائب الدهر تعاديه، ولم ير في أيامه سوى الظلم والجور، وأصبحت بينهما خصومة، فالملك يجير الناس أيام المحن والأزمات، ويحفظهم من متاعب الدهر وتقلباته، لكن لا يجير الشاعر (الأسدي)، فتكون دلالة الشكوى عدم اهتمام الملك به وحفظه من نوائب الدهر وجوره.

ويبث الشاعر الشكوى بأسلوب المقارنة بين الماضي والحاضر، فيقول(٥٥):

كانَ الزَّمانُ يَطيبُ لي وأَحِبَّتي فيهِ شُهودُ
فَأَتى الزَّمانُ بِجَوْرِهِ فالصَّبْرُ بَعْدَهُمُ فَقيدُ
فَأَنا الشَّقيُّ وكانَ لي حَظٌّ بِوَصلِهِمِ سَعيدُ
أَقْسَمْتُ ما لي بَعْدَهُمْ في يَومِ هذا العيدِ عِيدُ

تصدح الأبيات بالشكوى من الزمان الذي لا يستمر مع أحد بالسعادة والفرح، ولابد من تقلباته وتغير أحواله، فعقد الشاعر مقارنة بين زمان كان طيبًا بحضور أحبته وسعيدا بوصلهم، إلى أن أتى زمان يجور عليه بقسوة أهله وظلمهم، إذ رحل عنه إخوته، فنفد صبره، وقلت حيلته؛ وفقد الأمل برجوعهم إليه، فعاش الشاعر حياة الشقاء والألم والحزن، بعدما كان سعيدًا بهم وفرحًا، فأقسم ليس له عيدٌ بعدهم، فكشف التضاد بين(الشقي ، وسعيد) صورة الشكوى بإحساس الأسف والندم بما فعل به الزمان من تفريق الأحبة؛ للدلالة على مرارة العيش، وألم الواقع عندما يتقلب بالإنسان، فيقطع صلة الأرحام، ويزيد من الأسى والحرمان في حياة الإنسان.

ويشكو الشاعر تقلبات الدهر وجوره ، فيقول(٥٦):

ومالي إذا ما عَضَّني الدَّهْرُ ظالِمًا فأَعرَضَ عني صاحبٌ وخليلُ
سِوى المَلِكِ ابنِ النَّاصِرِ الظاهِرِ الَّذي نَداهُ بإِدْراكِ النَّجاحِ كفيلُ

يشكو الشاعر ويستغرب من أخلاق أهل زمانه، فإذا ما عضه الدهر بنائبة وظلمه أعرضوا عنه وهجروه، فيكشف سوء أخلاقهم وعيوبهم؛ لأنهم يتقلبون مع الدهر وينكسون رؤوسهم، ويجعلون الدهر سببا في انحراف سلوكهم، إلا الملك ابن الناصر الظاهر، فأنه يقف وقفة الرجال أيام المحن ومصائب الدهر، فيسعفه بكرمه وجوده ، ويرعاه من قسوة الزمان وظلمه، وتكشف هذه الشكوى عن تقلب الناس أيام الشدائد والعوز، فضلا عن سوء الحالة الاجتماعية؛ لأفراد المجتمع الذي يعيش فيه.

ويشكو الشاعر من مفارقات الزمن في حمد الجاهل، وذم الفاضل العالم، إذ يقول(٥٧):

أَ لِلدَّهْرِ ثَأْرٌ فَهْوَ يطلُبُ ثَأْرَهُ لَدَيَّ فمالي لا أُفارِقُ ذَحْلَهُ

رَمَـــاني زَمَـــاني عَـــنْ قِسِـــيّ قســـاوَةٍ ففـــي غَيْـــرِ قلبـــي مـــا يُسَـــدِّدُ نَبلَـــهُ

أَأُمنَـــعُ طَـــلَّ الخيـــرِ مَـــعْ أَدبـــي بِـــهِ ويُمـــنحُ منـــه أَبْلَـــهُ القـــومِ وَبْلَـــهُ[٥٨]

هُنـــاكَ يَـــذُمُّ الفاضِـــلُ النَّـــدبُ فَضْـــلَهُ ويَحمَـــدُ فيـــهِ الجاهـــلُ النَّـــذْلُ جهلَـــهُ

ويـــا دَهْـــرِيَ اطْـــوِ الجـــورَ ويْحَـــكَ واتَّئِـــبْ فهـــذا صَـــفِيُّ الـــدِّينِ ينْشُـــرُ عَدْلَـــهُ

تنطلق شكوى الشاعر بأسلوب الاستفهام (أ للدهر ثأرٌ)؛ ليسأل إن كان للدهر ثأرٌ عليه، إذ لا ينفك عن ملاحقته والقصاص منه، والاكتواء بناره، وخرج هذا الاستفهام إلى التعجب والشكاية؛ للدلالة على سوء حال، ومعاناة النفسية التي يكابدها، إذ إن سهام الزمن وضرباته لا توجه إلا لقلبه بشدة وعنف، ويستفهم الشاعر مرة أخرى (أأُمنع طَلَّ الخيرِ)؛ ليقف على مفارقة في الحياة / الزمن، إذ منع الطل / الندى مع علمه وأدبه، ويمنح أحمق القوم الخير الكثير، والعطاء الوفير، ومن هذه المفارقة يذم الكريم صاحب العلم ويقبح بفضله، ويشكر الجاهل الحقير ويحمد بجهله، فيخاطب الشاعر الدهر بياء النداء وفعل الأمر (ويا دهري اطوِ الجور)، وكأنه إنسان يطلب منه رفع الظلم عنه، ويقبحه، فهو في زمن الوزير صفي الدين الذي ينشر العدل والإحسان، ولا يستوي عنده العالم والجاهل، فهو درعه الحصين من نوائب الزمن وجوره.

ويصرح الشاعر بشكواه من الزمان وأهله، إذ يقول[٥٩]:

شـــكوتُ إلـــى قـــومٍ زمـــاني وأهلَـــهُ لِزُهـــدِهِم فـــي مَلْـــبَسِ المَـــدْحِ والحَمْـــدِ

فقـــالوا تبـــدَّلْ عـــنْهُم بِسِـــواهُمُ فقُلْـــتُ لَهُـــمْ :فـــي كـــلِّ وادٍ بنـــو سَـــعْدِ[٦٠]

وأُقسِـــمُ مـــا هِنـــدٌ لهـــا الغَـــدْرُ وَحْـــدَها وهـــل فـــي نِسَـــاءِ العـــالمينَ سِـــوَى هِنْـــدِ

تنوعت شكوى من الزمان وأهله، وتعددت صورها ومواقفها، إذ تبدو الشكوى في النص بأسلوب المحاورة بين الشاعر وأهل زمانه، فيشكو من أُناس يزهدون بالملبس الجيد، وقد يكون ذلك بخلًا وجهلًا ونفاقًا، فما كان رد أصحابه ورأيهم إلا تبديلهم بغيرهم، وأمثالهم في كل زمان موجودين، باستحضار المثل القائل:(في كل وادٍ بنو سعد)، وتكشف دلالة الشكوى على تكرار هؤلاء في كل زمان وجيل، فلا مفر منهم ولا خلاص، إن توظيف المثل في النص يضيف إليه دلالة جديدة تؤدي إلى إثرائه، ورفع من قيمته الإبداعية، فضلًا عن إبراز المعنى الموضوعي وكشفه بصورة جلية بالتشابه والتماثل بوجه الشبه بينهما، فشكلت هذه المحاورة مسردًا لبث همومه وآلامه من الزمان وأهله، كمضمون المثل ذاته .

ويشكو الشاعر من أمراض الزمان ونوائبه، إذ يقول[٦١]:

لَمَّـــا رَمـــاني زَمـــاني فـــي نَوائِبِـــهِ نادَيْـــتُ لَسْـــتَ زَمانًـــا أَنـــتَ إِزْمـــانُ

فَراحَتـــي صَـــفِرَتْ مِـــنْ راحَتـــي وأَنـــا عَلـــى مُنادَمَـــةِ النُّـــدْمانِ نَـــدْمانُ

كَـــم صـــاحِبٍ حاصِـــبٍ لـــي غَيْـــر مُتَّئِـــبٍ فَالِخْـــلُّ كالخَـــلِّ والإِخْـــوانُ خُـــوَّانُ[٦٢]

ينكـر الشـاعر الـزمن بمفهومـه الزمنـي، ويطلـق عليـه (إزمـان)، المـرض الشـديد المتواصـل، دلالـة علـى ابـتلاء الشـاعر بكثـرة نوائـب وتقلباتـه الأحـوال، إذ راحـة يـده أصـبحت عديمـة الفائـدة لفقـره، فضـلا عـن راحـة جسـده المتعبـة، فجـاء الجنـاس التـام بـين (فراحتـي، وراحتـي)؛ للدلالـة علـى العـوز والضـعف بتوافـق نغمـي شـعري، كمـا شـكل الشـاعر الجنـاس بـين (النـدمان، ونـدمان)؛ للدلالـة علـى الأصـحاب مـرة، وشـدة أسـفه علـى مصـاحبتهم مـرة أخـرى، إذ نـدم علـى مصـاحبة المسـيئين، فظهـرت الشـكوى فـي ألفـاظ (رمـاني زمـاني، إزمـان، فراحتـي صـفرت، نـدمان)؛ ليكشـف عـن شـكواه مـن الزمـان بالحصـى الـذي يُرمـى فيـه؛ فالخـل/ الحبيـب، كالخـل الـذي يغيـر الطعـم ويفسـده، والإخـوان مـنهم خـوان شيمتهم الغدر والخيانة، فجاءت الشكوى من أهل زمان لا وفاء لهم ولا أمان.

ويتمرد الشاعر، ويدعو إلى عدم الاستسلام لحكم الزمان وأهله، إذ يقول[٦٣]:

فـــلا تَـــرْضَ فـــي حُكـــم الزَّمـــانِ فـــإنني أَرى حُكْمَـــهُ فـــي أَهلِـــهِ صـــارَ معْكُوْسَـــا

فَفيـــهِ الـــذُّنابَىْ الـــرَّأْسُ والـــرأْسُ أَصـــبَحَ الـــذُّنابَىَ مِـــنَ الطَّيْـــرِ الـــذي لـــيسَ طاوُوْسَـــا

يعلـن الشـاعر عـن شـكوى مفعمـة باليـأس وموشـحة بـالقنوط مـن الزمـان، فيـدعو إلـى رفـض حكمـه؛ لأنـه غيـر عـادل، ولا منصـف، إذ صـارت أحكامـه معكوسـة بـين النـاس جعلـت سـفهاء القـوم قـادًا وأبطـالًا، بينمـا صـار الرأس/أفاضـل النـاس فـي أوآخـر القـوم دلالـة علـى ضـعفهم وعجـزهم، كـالطير الـذي وضـع رأسـه مكـان ذنبـه، والـذنب مكـان الـرأس، فصـبح منظـره مقـززًا وغيـر جميـل، وهـذا إحسـاس" بعـدم الطمأنينـة، وتوقـع الفشـل، وسـوء الحـظ فـي كـل شـيء، وإحساسـه دائمـا بـالخطر، ويبـدو المسـتقبل أمامـه كئيبـا موحشـا"[٦٤]، فحمـل الـنص الشـكوى بتبـادل الأدوار بـين الـذنب والـرأس، بضـعف الحـق فـي أهلـه، وقـوة الباطـل فـي ناسـه، فكـان الزمـان سـببًا فـي أحكامـه المعكوسـة، والمغالطـة فـي رفـع الوضـيع وإهانة الشريف.

ويكثر الشاعر الشكوى من ظلم الدهر، إذ يقول[٦٥]:

يـــا دَهْـــرُ رُوَيْـــدَكَ كـــم أُزْمـــى مِـــنْ جَـــورِكَ بـــالحُكمِ المَحِـــكِ[٦٦]

أَبكـــي مِنْـــهُ أَسَـــفًا وَيَـــرى حـــالي فَيُقَهْقِـــهُ بالضَّـــحِكِ

ينـادي الشـاعر الـدهر بـ (يـا) النـداء؛ لقربـه منـه وكثـرة ظلمـه، وكأنـه إنسـان يطلـب منـه التمهـل معـه فـي رميـه بـالظلم جـورًا وبهتانًـا، فجـاء بـ(كم) الخبريـة التـي تـدل علـى الكثـرة، فكانـت أحكامـه قاسـية وتقلباتـه مريـرة، ويتأسـف الشـاعر مـن أحكامـه ويبكـي مرارتهـا، فيضـحك الـدهر مسـتهزئًا منـه، وغيـر مبـالٍ فـي اسـتعارة جميلـة، إذ جعـل الـدهر بصـفة الإنسـان يضـحك، فظهـرت الشـكوى بأسـلوب بيـاني يكشـف عـدم توافـق الـدهر مـع الشـاعر، إذ كانـت حياتـه مليئـة بالتناقضـات فـي رؤيتـه للناس من حوله.

*****

٤- الشكوى من الحكام والأعيان:

تحضر الشكوى من الحكام والأعيان في زمن كثر فيه الظلم والجور، والتقصير والإهمال، فـ "التمرد على الظلم والظالمين، وانتزاع الحق بالحزم والقوة هو الطريق السليم المشرف لكل المستضعفين المظلومين على نطاق الفرد والشعوب"[٦٧]، فكانت شكواه الشاعر فتيان الشاغوري صادقة نابعة من إحساسه فلا زيف فيها ولا ادعاء، عبرت عن ظلم وقع عليه، ونال منه، فكان الشعر ميدان رده الذي يفصح فيه شعوره، ويكشف موطن الخلل، وعدم الاتزان متأملًا" استتباب العدل والحق بين الناس ومحاسبة كل من يخرج عليهما"[٦٨]، بأسلوب شعري، ولغة جمالية تدل على الشكوى تمام الدلالة، فيدعو إلى احقاق الحق والتماس الخير، وترك الباطل وأهله، إذ يشكو من أحد الأعيان نال من منزلته، إذ يقول[٦٩]:

تعـــــالى اللهُ كـــــم أُعْـــــربُ ... فـــــي المـــــدحِ وكـــــم أُغْـــــربْ

فلِـــــمْ أُبْعَـــــدُ مَـــــعْ فضـــــلي ... وغيـــــري عنـــــدَكُم قُـــــرِّبْ

ومـــــا أَصْـــــدَقَ مـــــن قـــــالَ ... مُغَنِّـــــي الحـــــيّ مـــــا يُطْـــــرِبْ

يعجب الشاعر ممن نسي فضله، بدلالة قوله (كم أُعرب في المدح)، ويشكو في الوقت نفسه (وكم أُغرب)، وجاءت هنا (كم)؛ للدلالة على الأخبار والكثرة في التقرب إليه، وكسب الود لكن بلا جدوى بسبب إبعاده من مجلسه وعزله، وتقريب من هو بعيد، وهذا يتفق مع معنى القول:(مغني الحي لا يطرب)؛ للدلالة على أفضليته وسبقه لغيره، بيئته لكن الغريب تقربه وأبعد القريب، فظهرت الشكوى الاجتماعية بأسلوب التعجب (تعالى الله) والأخبار بـ (كم)؛ لتشكيل دلالة تغير الأحوال والمفاهيم في المجتمع في تقريب الغريب وإكرامه، وهجر القريب مع فضله، للدلالة على قلة الوفاء.

يشكو نكران الحاكم لفضله (جهاركس)[٧٠] له وحرمانه من العطاء وابتزازه على أرض يملكها، إذ يقول[٧١]:

كـــم مـــن مَقـــام قُمْتُـــه بِمَديحَـــهِ ... فهنـــاكَ إِذْ أَصْـــغى الحَســـودُ وَقَمْتُـــهُ

قـــدْ كنـــتُ آمـــلُ مـــن "جَهـــارِكَسَ" نُصْـــرةً ... أَلقـــى بهـــا زَمَنِـــي إِذا استنصَـــرْتُهُ

فحُرِمـــتُ ذلِـــكَ مِنـــهُ مَـــعْ شـــكْري لَـــهُ ... ورُميـــتُ منـــه بِضِـــدِّ مـــا أَمَّلْتُـــهُ

وهـــو الَّـــذي غَمَـــر الـــوَرى بِنَوالِـــهِ ... غَيـــري فَلِـــمْ دونَ الأَنـــامِ حُرِمتُـــهُ

مـــا جِئتُـــهُ أَبغـــي سِـــوى إِنعامَـــهُ ... لـــي بالـــذي قـــد كـــانَ لـــي فَغُصِـــبْتُهُ

مـــن عـــزَّ بـــزَّ وقـــد غُلِبْـــتُ إِذنْ علـــى ... مـــا كـــانَ مُلكـــي فـــي يَـــدي فسُـــلِبتُهُ

عجَبًـــا لمـــنْ مَلَـــكَ الـــبِلادَ بأَسْـــرِها ... وابتَزَّنِـــي شِـــبرًا بِهـــا مُلِّكتُـــهُ

فَقَضِـــيَّتي كـــالنَّصِ فـــي القُـــرآنِ مَـــعْ داوودَ والخِصْـــــمِ الَّـــــذي أَشْـــــبَهتُهُ

يظهر الشاعر خيبة المسعى مع الحاكم (جهاركس)، إذ لم ينصره في الزمن الصعب، ولم يقف إلى جانبه، وحرمه العطاء الذي عم غيره، وشكل استثناء الحصر (سوى إنعامه) شكوى مادية بالعطاء الذي كان له من قبل، ولكن من عزَّ بزَّ/ غلب وسلب أرضًا كان يملكها، وهو يملك البلاد بقوته وسطوته، فوظف قصة نبي الله داوود (عليه السلام) مع الخصمين عندما حكم لأحدهما دون سماع الآخر، في قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾ ص: [٧٢]، فتجلت الشكوى في تاء الفاعل في الألفاظ (حرمت، رميت، غلبت)؛ لتكشف معاناة الشاعر وألمه من الحاكم وظلمه، وجاء ضمير الهاء للمتكلم/الشاعر في النص الشعري؛ ليدلل على الشاكي والمشكو، ويزيد من شكواه والآمه بسبب الجور الذي وقع عليه من الحاكم، ولم يرد عليه بقولٍ يعكر صفو الوداد بينهما.

ويشكو الشاعر من تجاهل الأمير سعد الدولة بن محسن[٧٣]، وعدم الاهتمام به، إذ يقول[٧٤]:

فحتّـــامَ اَسْـــتَمْرِي جَنَـــا العَجـــزِ وادِعًـــا وأَكْـــرَعُ فـــي مـــاء الخُمُـــولِ علـــى عَمْـــدِ

فـــلا أَنـــا ذو مـــالٍ فتـــؤثَر عِشْـــرَتي ولســـتُ بـــذي جـــاهٍ فيرهَبَنـــي ضِـــدّي

ولـــي مَنطِـــقٌ إمّـــا ســـلَلْتُ غِـــرارَهُ يَعُـــدْ ناكِصًـــا عـــن حَـــدِّه كـــلُّ ذي حَـــدِّ

ســـأَدفعُ فـــي صَـــدرِ التَّـــواني بِراحَتـــي وأَلطُـــمُ خَـــدَّيْ هَزْلِـــهِ بِيَـــدَيْ جِـــدِّي

وأَنفُـــضُ كُمِّـــي فـــي وُجُـــوه مَعَاشَـــرٍ هُـــمُ زَجَرونـــي فيـــكَ عـــن سَـــنَنِ القَصْـــدِ

يشكو الشاعر العجز والخمول في حياته بسبب إهمال الأمير سعد الدولة له وعدم الاهتمام به، إذ "يتعرض الإنسان في حياته للإهمال، وسوء المعاملة، أو العنف من طرف الأطراف أو المجتمع أو الأهل، أو إلى الغدر و الظلم، أو النفي، فتؤدي هذه الظروف إلى نوازع نفسية تعتلج في صدره فتؤرقه وتؤجج حزنه وألمه، وكل هذه النوازع تقوده إلى الشكوى؛ ليعبر عن مواجع قلبه"[٧٥]، فالشاعر هنا يعبر عن سوء المعاملة تعرض لها، فلو كان ذا مالٍ لقربه من مجلسه، واهتم به، ولكنه بلا مال فقير الحال بلا سند: فلا يخشاه أحد، وعوض الشاعر ذلك بقول الشعر الذي خلده وخلد من قيل فيه، بأجمل القصائد، وعليه أن يستثمر ذلك، وإلا يعد ناكصًا على عقبه وناكثًا على نفسه، سيكون الشاعر في المقدمة وبيده قول الهزل والجد، وينفض في وجوه من زجروه ولامه في التقرب من الأمير والاتصال به، فظهرت الشكوى بصورة الملامة والندم على حاله وعدم الاكتراث له؛ لقلة ماله وجاهه.

ويشكو الشاعر من ضياء الدين الدولعي[٧٦] الذي تغير وده، وفضل أُناس عليه، إذ يقول[٧٧]:

لَعَمْـــرُ ضِـــياءِ الـــدّين إنـــي لَمُظْهِـــرٌ لـــه كلَّمـــا قـــد كنـــتُ أُخْفـــي وأُظْهِـــرُ
تُقَـــــدِّمَ أَقْوامًـــــا عَلَينـــــا وإنّنـــــا لَأَخْلَـــــقُ بالتَّقـــــديمِ مِـــــنهمْ وأَجْـــــدَرُ
وتَرْفَـــــعُ صِـــــبْيانًا عَلَينـــــا كـــــأَنّهُمْ مَشـــايِخُ عِلْـــمٍ فـــي النـــديّ تَصَـــدَّروا
وتَكْسِـــــرُ مِنّـــــا أَنْفُسًـــــا عَرَبِيَّـــــةً بَســـالَتُها ليسَـــتْ علـــى الضَّـــيْمِ تَصْـــبِرُ
أَمِـــــنْ بَقَـــــرٍ بالدولَعِيَّـــــةِ خِلْتَنـــــا فَتُورِدُهـــــا أَنّـــــى تَشـــــاءُ وتُصْـــــدِرُ

يقسم الشاعر بأنه لا يخفي شيئًا عمن يصاحب، ويظهر له ما في نفسه من شكوى وألم، بأسلوب العتاب والنصح عن كيفية تقديم أقوامٍ عليه، وهو أحق الناس وأولى بالتقديم من غيره؛ لأنه صاحب علم وشيخ جليل، وهذه الشكوى "ناتجة عن أوضاع اجتماعية ومتغيرات في الحياة، وصدى هذه الشكوى ومنبعها نفسي عند من فقد الأمل في صديقه ... فأصيب بالإحباط النفسي "[٧٨]، ويؤكد الشكوى العتابُ بأسلوب تهكمي برفع صبيانٍ لا علم لهم، وكأنهم شيوخ علم بتصدرهم المجالس، وتُكسر صاحب النفس العربية التي تأبى الذل والهوان، ولا تقبل أن يتقدم أحدٌ عليها، وهذه الشكوى تكشف أن ضياء الدين قد قرب غريبًا، ويستنكر الشاعر بالاستفهام (أمن بقرٍ بالدولعية خلتنا)؛ للدلالة على عزة نفسه وكرامته، وتوهم صاحبه في معرفة الرجال وقدرهم، فجاءت الشكوى باتساع معانيها وحلقاتها حتى أنكر عليه ما يدور في عقله من قبح المعشر وخفة عقله.

ويستمر الشاعر في شكواه من ضياء الدين الدولعي في طريقة استقباله ورد السلام عليه، إذ قال [٧٩]:

ولـــو أَنَّنـــي يَمَّمْـــتُ غَيْـــرَكَ لـــم يَكُـــنْ لَدَيـــهِ مُقـــامي هكـــذا حـــينَ أَحضُـــرُ
ولا كـــانَ يَلْقـــاني بِوَجـــهٍ مُقَطِّـــبٍ يَـــرُدُّ سَـــلامي خِفْيَـــةً حـــينَ أَجْهَـــرُ
ولكِـــنَّ فَـــرْطَ الـــوِدِّ نَحـــوكَ قائـــدي ولســـتُ امْـــرَأً عَـــن وُدِّهِ يَتَغَيَّـــرُ
وقـــدْ قُلـــتُ والمصْـــدورُ لا شَـــكَّ نافِـــثٌ فَعُـــذْرًا خَـــلاكَ الـــذَّمُّ والحُـــرُّ يَعْـــذُرُ
لَـــئِنْ دامَ هـــذا مِنْـــكَ إِنّـــي لَظـــاعِنٌ وكَـــم مِثلُهـــا فارَقتُهـــا وهِـــيَ تَصْـــفِرُ

يعقد الشاعر – من شدة شكواه– مقارنة بين ضياء الدين الدولعي وغيره الذي يقدره ويرفع من منزلته عند زيارته، واستقباله بوجه طلق ورد السلام عليه علنًا، وهو فعل معاكس لما يفعله معه المشكو منه، الذي لم يتغير ودَّ الشاعر له، وإن عامله بسوء واستخفاف، ومن شدة حبه له طلب عذره أن قال ما يكره فيه أو ذمه؛ لأنه حر وليس عبدًا لأحد، وإذا لم يعذره وأدام جفاء له وهجره، فأنه راحل من قريته الدولعية مثلما رحل من قرى أخرى تركها تموت من فراقه وعلمه، فظهرت الشكوى من عدم تبجيله وإنزاله بمقامه، وهي شكوى معنوية تحفظ كرامة الشاعر وسمعته.

ويشكو الشاعر الأعيان من بني العدل الذين حطوا من قدره وأنكروا فضله، إذ يقول[٨٠]:

مـــا مِـــنَ الْعَـــدْلِ يـــا بَنِـــيْ العَـــدْلِ أَن تَسْـــ ـــــمُوا وَحَظِّـــي لَـــدَيْكُمُ فـــي انحطـــاطِ

أَنـــــا سَـــــدَّدتُكم فَرِشْـــــتُم سِـــــهامًا صـــــائِبات وكُـــــنَّ قَبْـــــلُ خَـــــواطي

وإذا مـــا أَبَيْـــتُمُ الْنَّفْـــعَ فـــي الدُّنـــ ـــــيا فَمـــا تَنفَعـــونَ عِنْـــدَ الصِّـــراطِ

إِنْ نَبَـــذتُمُ مجـــدي وفَضـــلي وعلمـــي واجتهـــادي فـــي نَفْعِكـــم واحتِيـــاطي

لَسْـــتُ أَبغـــي مـــنكُمْ زبيبًـــا ولا دبسًـــا ولا مالَـــــهُ تُعَـــــدُّ البَـــــواطي[٨١]

أَنـــا مِمّـــا ذَكرتُـــهُ قـــد غَثَّـــتْ نفســـي فَجُـــــودُوا بالخَـــــلِّ أَو بـــــالخِلاطِ

يظهـر الشـاعر شـكواه بالإفـادة مـن الجنـاس التـام بصـورة المقابلـة والمماثلـة فـي لفظـة (العـدل) التـي تـدل علـى الحـق والقسـط، التـي إن سـبقت بـالنفي تعنـي الظلـم والجـور، ولفظـة وبنـي (العـدل) وهـم أبنـاء قـوم، ومـن المفتـرض أن يتشـبهوا باسـمهم، فلـيس مـن العـدل والانصـاف أن يتسـموا بهـذا الاسـم، وفعلهـم خـلاف معنـى اسـمهم، فالشـاعر ينـدب حظـه عنـدهم وقلـة قـدره، وكثـرة السـهام والـتهم التـي ينالهـا مـنهم وتصـيبه، ومـن قبـل كانـت تخطئـه، لتـدل علـى تغييـر حـالهم مـن الأفضـل إلـى الأسـوء، فـإن لـم ينفعـوا النـاس فـي الـدنيا لا حـظ لهـم فـي الآخـرة، إذ انكـروا عليـه اجتهـاده، واقـروا بعـدم نفعـه، ونبـذ مجـده وفضـله وعلمـه، فـلا يريـد مـنهم حلـو الزبيـب أو الـدبس شـاكيًا متعـب الـنفس يرضـى بالقيل الأدنى من الخل أو بالخلاط.

يشكو الشاعر من أعيانٍ خانوه ونبذوه ورفضوه وأبغضوه، إذ يقول[٨٢]:

ذَمَمْـــتُ زَمـــاني إِذْ رمـــاني بِمَعْشُـــرٍ يَـــرَوْنَ عُلُـــوَّ الشَّـــأْنِ فـــي حَطِّهِـــمْ شـــاني

فَلَـــمْ أَلْـــقَ لـــي مِـــن صـــاحِبٍ غَيْـــرَ حاصِـــبٍ ولَـــمْ أَرَ فـــي الإِخـــوانِ لـــي غَيْـــرَ خَـــوّانِ

هُـــمُ نَبَـــذوني نَبْـــذَهُمْ كـــلَّ سُـــؤدَدٍ وهُـــمْ رَفضُـــوني رَفضَـــهُمْ كـــلَّ إِحســـانِ

وقَـــدْ سَـــرَّني أَنْ أَبغَضـــوني لأَنَّنـــي رَأَيْـــتُهُمُ لَـــمْ يُـــؤثِروا حُـــبَّ إِنســـانِ

فَكَـــم صَـــفِرَتْ مِـــنْ راحتَـــي راحَتـــي وكَـــم عَضَضْـــتُ لنَـــدماني أَنامـــلَ نَـــدْمانِ

ومِـــنْ قَبْـــلُ أَوْصـــى اللهُ بِالجْـــارِ جـــارَهُ وإِنّـــي إِليـــهِ أَشـــتَكي جَـــوْرَ جيرانـــي

ذم الشاعر بعض أهل زمانه ممن ينظرون إليه وكأنه سبب في حط منزلتهم وشأنهم، ويعلن لهم في شكوى صريحة أنه لم يلق منهم سوى الريح الشديدة التي تحمل التراب وصغار الحجر التي تدل على جفائهم ونكرانهم، ولم ير منهم إلا الخائن الذي طعن به وغدر، وهم من تركوه وخالفوه وفارقوه عن عداوة وبغضاء، فتركوا بذلك المجد والسيادة والقدر الرفيع، وامتنعوا عن فعل الخير والإحسان برفضه، وتدل أعمالهم في النص الشعري على عدم إنسانيتهم وسوء خلقهم، وهذا ما ميز الشاعر عنهم، وقد تحمل من أجلهم التعب وعض أصابعه ندامة عليهم، فكشفت ألفاظ الشكوى (نبذوني، رفضوني، أبغضوني)، عمق المأساة والسخط على الذين نظروا إليه بعين الحسد والحقد، وأعلن الشاعر شكواه بتذكيرهم بوصية الله (سبحانه وتعالى) بالجار، في

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ النساء: ٣٦ [٨٣]، وهذا أسلوب ترغيب للعودة إلى الصواب وحفظ الحقوق وصيانتها.

وتتسع دائرة الشكوى عند الشاعر؛ لتكون من جيل بأكمله، إذ يقول[٨٤]:

نحْـــــنُ فـــــي جيـــــلٍ لئـــــامٍ كلُّهـــــمْ سُـــــخْنَةُ عَـــــيْنِ

هَجْـــــوهُمْ أَحْسَـــــنُ صِـــــدْقٍ مَـــــدْحُهُمْ أَقْـــــبَحُ مَـــــيْنِ

مـــــا لِمـــــنَ يَمْـــــدَحُهُم مِنْـــــ ـــــهُمْ سِـــــوى خُفَّـــــيْ حُنَـــــيْنِ

فـــــاهْجُهُمْ تَلْـــــقَ الأَمـــــاني مِـــــنْهُمُ كـــــابنِ عُنَـــــيْنِ

يكابد الشاعر ويعاني من جيل وصفه بأنه دنيء الأصل لا مروءة عنده شحيح النفس، لم تقر به الأعين؛ لذلك يعد الشكوى وفضحوا هذا الجيل على انحطاطه هو الأصدق في الحقيقة وأخلاق، وأن مدحهم أقبح الكذب لشدة لؤمهم، وضمَّنَ الشاعرُ في الشكوى المثل العربيَّ "رَجَعَ بخفَّيْ حُنَين"[٨٥]، الذي يُضربُ لمن لم يَظفرْ بحاجته، ويرجعُ بالخيبة واليأس، وأفاد الشاعر من التضاد في (هجوهم/ مدحهم، أحسن/ أقبح، صدق/ مين)، في شكواه من جيل يعيش معهم اختلت لديهم موازين الحياة وأعرافها، فلم يعد عندهم من المروءة شيءٌ.

*****

الخاتمة:

-تكشف (الشكوى في شعر فتيان الشاغوري)، عن مضامين الشكوى ومحاورها في شعره، فضلًا عن القيمة الدلالية والانفعالية في اظهار صفحات شكواه وصداها على حياته.

- تجلت الشكوى موضوعًا مستقلًا تارة، وتداخلت مع المضامين الشعرية تارة أخرى مع بقاء الشكوى من مظاهر الفقر والفاقة والجوع، وذم أهل الزمان والتذمر منهم الأكثر وضوحًا وبروزًا في تجربته.

- كان تقلب أوضاع الناس واختلاف طباعهم وتباين عاداتهم، وسوء الإدارة والجور والظلم، وفراق الإخوان والأصحاب وبعدهم من أدعى بواعث الشكوى، التي مثلت واقعًا مجتمعيًا.

- أفاد الشاعر من توظيف معان من القرآن الكريم، فضلًا عن الأبيات الشعرية والأمثال العربية؛ لتحقيق الإثارة وتحريك المشاعر والأحاسيس؛ فابتعدت ألفاظ الشكوى عن الغموض والتعقيد، وتسمت بالوضوح والتسهيل.

*****

الهوامش:

(١) فتيان بن علي بن فتيان بن ثمال، أبو محمد الأسدي الشاغوري (٥٣٤-٦١٥)، الأديب الشاعر، العارف بعلم اللغة والإعراب، من أهل دمشق، نسبته إلى -شاغور- من أحيائها، مولدة بانياس، ووفاته في دمشق، اتصل بالملوك ومدحهم وعلم أولادهم؛ تنظر ترجمته وأخباره في: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، كمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصلي (ت: ٦٥٤هـ): ٣١٤/٥ ؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد (ت: ٦٨١هـ): ٤/ ٢٤-٢٦؛ الأعلام، خيرالدين الزركلي الدمشقي(ت: ١٣٩٦هـ): ١٣٧/٥؛ الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، عمر موسى باشا: ٣٢٦-٣٣٠.

(٢) الشكوى في الشعر الجاهلي، قحطان رشيد التميمي، (بحث منشور): ١٣٩.

(٣) الشكوى في شعر القرن الرابع الهجري، جواد رشيد مجيد، (رسالة ماجستير غير منشورة): ٤.

(٤) شعر الشكوى في القرنين الثالث والرابع الهجريين- دراسة تحليلية نقدية في المضمون والشكل-، د. عبدالرزاق عبدالحميد حويزي: ٢٠.

(٥) ظاهرة الشكوى في شعر هذيل، بتول حمدي البستاني، (رسالة ماجستير غير منشورة): ١٧-١٨.

(٦) شعر الشكوى عند المتنبي، أحمد عبدالرحمن حسين العرفج، (رسالة ماجستير غير منشورة): ٦.

(٧) الشكوى في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ظافر عبدالله علي الشهري، (أطروحة دكتوراه غير منشورة): ٨.

(٨) ينظر: تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات الشام)، د. شوقي ضيف: ٢٥٢ .

(٩) الشكوى في شعر القرن الرابع الهجري، (رسالة ماجستير غير منشورة): ٩٩ .

(١٠) ديوان فتيان الشاغوري: ٢٩.

(١١) ديوان فتيان الشاغوري: ٢٧٧ .

(١٢) ديوان فتيان الشاغوري: ٤٦٦ .

(١٣) شرح ديوان المتنبي، عبدالرحمن البرقوقي: ١٢٢٧.

(١٤) ديوان فتيان الشاغوري: ٤٦٧-٤٦٨ .

(١٥) الشكوى في شعر أبي فراس الحمداني- دراسة تحليلية-، د. أيمن السيد علي الصياد، (بحث منشور): ١٩٩ .

(١٦) ديوان فتيان الشاغوري: ١٦٥ .

(١٧) ينظر: القلق وإدارة الضغوط النفسية، فاروق السيد عثمان: ١٠٣.

(١٨) فُواق: ما لها من راحة ولا إفاقة ولا نظرة. ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبي الفضل جمال الدين ابن منظور(ت:٧١١هـ): مادة (فوق): ٣٤٨٩/٥ .

(١٩) ديوان فتيان الشاغوري: ٢٩٢ .

(٢٠) القرآن الكريم، سورة يوسف: الآية ٨٦ .

(٢١) شعر الشكوى في القرنين الثالث والرابع الهجريين- دراسة تحليلية نقدية في المضمون والشكل-: ٣٢٥.

(٢٢) تنظر ترجمته وأخباره في: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، أبو المظفر يوسف بن شمس الدين، المعروف بابن الجوزي(ت ٦٥٤ هـ): ٦٦٦/٨ ؛ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت ٦٩٧ هـ): ٢٨٥/٤_٢٩٧؛ الأعلام: ٨٦/٢.

(٢٣) ديوان فتيان الشاغوري: ٤١.

(٢٤) حَيْزومِه: وسط الصدر. ينظر: لسان العرب، مادة (حزم): ٨٦٠/٢ .

(٢٥) ديوان ذي الرمة، شرح الإمام أبي نصر الباهلي صاحب الاصمعي – رواية الإمام أبي العباس ثعلب -: ق١، ٩/١.

(٢٦) تنظر ترجمته وأخباره في: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: ٣٦٨/٢١؛ مُفرِّج الكروب في أخبار بني أيوب: ٤١٨/٢-٤٢٢.

(٢٧) ديوان فتيان الشاغوري: ١٢١ .

(٢٨) الشكوى في شعر ابن نباتة، د. وئام محمد سيد أحمد أنس، (بحث منشور): ٢٢٦ .

(٢٩) القلق، فرويد: ٣ .

(٣٠) تنظر ترجمته في: الأعلام: ٣/ ٥٧.

(٣١) ديوان فتيان الشاغوري: ١٩٥-١٩٦ .

(٣٢) الذات/الأنا الشاكية في شعر الأبيوردي: د. علي عبد رمضان، والباحثة: آلاء جهاد فاضل، (بحث منشور): ٣٥٢ .

(٣٣) برزة : جاء في الخبر أنّ إبراهيم (عليه السلام) ولد في غوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل قاسيون. ينظر: معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦ هـ): ٢ /٤٦٤ .

(٣٤) ديوان فتيان الشاغوري: ٢٠٥ .

(٣٥) تنظر ترجمته وأخباره في: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤/ ٤٦٣؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت:٨٧٤هـ): ٣٠٠/٦.

(٣٦) ديوان فتيان الشاغوري: ٢١٩-٢٢٠ .

(٣٧) بلبالُ: شدة الهَمِّ، والوسواس في الصدور، وحديث النفس. ينظر: لسان العرب: مادة (بلل): ١١/ ٦٩ .

(٣٨) تنظر ترجمته في: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: ٤٦٠/٨؛ مُفرِّج الكروب في أخبار بني أيوب: ٣/ ٥٨٢؛ والأعلام: ٨/ ٢٢٠.

(٣٩) ديوان فتيان الشاغوري: ٣٢١ .

(٤٠) كلاكل: جماعات كالكَراكِر. ينظر: لسان العرب: مادة (كلل): ١١/ ٥٩٧ .

(٤١) ديوان فتيان الشاغوري: ٣٣٧-٣٣٨ .

(٤٢) ذحول: العداوة والحقد. ينظر: لسان العرب، مادة (ذحل): ١١/ ٢٥٦ .

(٤٣) تنظر ترجمته وأخباره في: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: ٨/٦٤٤؛ مُفرِّج الكروب في أخبار بني أيوب: ٤١/٢٠٨.

(٤٤) ديوان فتيان الشاغوري: ٤٠٦-٤٠٧ .

(٤٥) الشكوى في شعر ابن نباتة، (بحث منشور): ص٢١٤.

(٤٦) ديوان فتيان الشاغوري: ١٥٠-١٥١.

(٤٧) الشكوى في شعر القرن الرابع الهجري، (رسالة ماجستير غير منشورة): ٤٥.

(٤٨) الشكوى في شعر سبط ابن التعاويذي(ت: ٥٨٣ هـ)، د. فارس ياسين محمد الحمداني،(بحث منشور): ١٠٥.

(٤٩) ديوان فتيان الشاغوري: ٢٩ .

(٥٠) ديوان فتيان الشاغوري: ٥٧ .

(٥١) كَبَد: الشدة والمشقة. ينظر: لسان العرب، مادة (كبد): ٣/ ٣٧٦ .

(٥٢) النافقاء: جِحَرة اليَرْبُوع. ينظر: لسان العرب، مادة (نفق): ١٠/ ٣٥٩ .

(٥٣) ديوان الحطيئة: ٢٠٨ .

(٥٤) ديوان فتيان الشاغوري: ١١١ .

(٥٥) ديوان فتيان الشاغوري: ١٢١-١٢٢ .

(٥٦) ديوان فتيان الشاغوري: ٣٣٦ .

(٥٧) ديوان فتيان الشاغوري: ٣٦٤-٣٦٥ .

(٥٨) الطلّ: أخف المطر وأضعفه. ينظر: لسان العرب، مادة (طَلَّ): ١١/ ٤٠٥ .

(٥٩) ديوان فتيان الشاغوري: ١٢٣ .

(٦٠) فِي كُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ؛ مَثل قالهُ: الأَضبط بن قُريع السَّعدي لَمَّا رأى من قومه ما يسوءه، فانتقل إلى غيرهم فرأى منهم أيضا مثل ذلك. ينظر: مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني (ت: ٥١٨ هـ): ١/ ١٠٥ .

(٦١) ديوان فتيان الشاغوري: ٤٧٧ .

(٦٢) حاصب: رماه بالحصى والحجارة. ينظر: لسان العرب، مادة (حصب): ١/ ٣١٩ .

(٦٣) ديوان فتيان الشاغوري: ٢٢٥ .

(٦٤) القلق وإدارة الضغوط النفسية: ١٩.

(٦٥) ديوان فتيان الشاغوري: ٣٠٦.

(٦٦) المَحك: التمادي في اللجاجة عند المساواة والغضب والبخل والعَسِر. ينظر: لسان العرب، مادة (محك): ١٠/ ٤٨٦.

(٦٧) الشكوى في الشعر الجاهلي (بحث منشور): ١٤٠.

(٦٨) ظاهرة الشكوى في شعر هذيل،(رسالة غير منشورة): ١٩٠.

(٦٩) ديوان فتيان الشاغوري: ٣١.

(٧٠) جهاركس: تنظر ترجمته وأخباره في: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: ١٨٨/٢٢ ؛ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب:٣/ ٨٥-٩٢.

(٧١) ديوان فتيان الشاغوري: ٥٦.

(٧٢) القرآن الكريم، سورة ص: الآية ٢٣.

(٧٣) من أمراء الدولة الأيوبية، لم أقف عليه في المصادر التاريخية والتراجم، ينظر: ديوان فتيان الشاغوري:١٣٣.

(٧٤) ديوان فتيان الشاغوري: ١٣٤-١٣٥ .

(٧٥) الشكوى في شعر أسامة بن منقذ: أشواق تريعة، (بحث منشور): ٣٢٠ .

(٧٦) تنظر ترجمته وأخباره في: الأعلام: ٤/ ١٥٩ ، والدولعية التي ينسب إليها هي قرية كبيرة بينها وبين الموصل يوم واحد على سير القوافل في طريق نصيبين. ينظر: معجم البلدان: ٢/ ٤٨٦.

(٧٧) ديوان فتيان الشاغوري: ٢٠٦ .

(٧٨) الشكوى في شعر سبط ابن التعاويذي (ت: ٥٨٣ هـ)، (بحث منشور): ١٢١ .

(٧٩) ديوان فتيان الشاغوري: ٢٠٦.

(٨٠) ديوان فتيان الشاغوري: ٢٦٠_٢٦١.

(٨١) البواطي: جمع البوطة وهي إناء يُذيب فيها الصائغ ونحوه من الصناع. ينظر : لسان العرب، مادة (بوط): ٧/ ٢٦٦.

(٨٢) ديوان فتيان الشاغوري: ٥٢٩ .

(٨٣) القرآن الكريم، سورة النساء: الآية ٣٦ .

(٨٤) ديوان فتيان الشاغوري: ٥٤٨-٥٤٩.

(٨٥) مجمع الأمثال: ٢٩٦/١.

ثبت المصادر والمراجع:

١- الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك: عمر موسى باشا، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٨٩م.

٢- الأعلام: خيرالدين الزركلي الدمشقي(ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م.

٣- تاريخ الأدب العربي(عصر الدول والإمارات الشام): د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٠.

٤- ديوان الحطيئة: تحقيق: نعمان أمين، ط١، ١٩٥٨م.

٥- ديوان ذي الرمة: شرح الإمام أبي نصر الباهلي صاحب الاصمعي – رواية الإمام أبي العباس ثعلب – حققه وقدم له وعلق عليه: د. عبد القدوس أبو صالح، مطبعة طربين، دمشق، ١٩٧٢.

٦- ديوان فتيان الشاغوري(أبو محمد فتيان بن علي الأسدي) (٥٣٠-٦١٥ هـ)، تحقيق: أحمد الجندي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٦م.
٧- الذات/الأنا الشاكية في شعر الأبيوردي: د. علي عبد رمضان، والباحثة: آلاء جهاد فاضل، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العدد(٣)، المجلد (٤٣)، ٢٠١٨م.
٨- شرح ديوان المتنبي: عبدالرحمن البرقوقي، مطبعة الاستقامة، القاهرة ، ط٢، ١٩٣٨.
٩- شعر الشكوى عند المتنبي: أحمد عبدالرحمن حسين العرفج، رسالة ماجستير(غير منشورة)، بإشراف: أ. د. عبدالله أحمد باقازي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٤٢٠ هـ.
١٠-شعر الشكوى في القرنين الثالث والرابع الهجريين- دراسة تحليلية نقدية في المضمون والشكل-: د. عبدالرزاق عبدالحميد حويزي، مراجعة وتقديم قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط ١، ٢٠١٩م.
١١-الشكوى في شعر أسامة بن منقذ: أشواق تريعة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد(١١)، العدد(١)، ٢٠١٩م.
١٢-الشكوى في شعر ابن نباتة: د. وئام محمد سيد أحمد أنس، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد(١)، محرم ١٤٣٠ هـ/ يناير ٢٠٠٩ م.
١٣-الشكوى في شعر أبي فراس الحمداني- دراسة تحليلية-: د. أيمن السيد علي الصياد، مجلة كلية الآداب، جامعة بور سعيد، العدد(١١)، يناير ٢٠١٨ م.
١٤-الشكوى في الشعر الجاهلي: قحطان رشيد التميمي، مجلة الآداب، كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد(١٣)، ١٩٧٠م.
١٥-الشكوى في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري: ظافر عبدالله علي الشهري، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، بإشراف: أ. د. إبراهيم أحمد الحاردلو، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٩٩٠م.
١٦-الشكوى في شعر سبط ابن التعاويذي(ت: ٥٨٣ هـ): د. فارس ياسين محمد الحمداني، مجلة آداب الرافدين، العدد(٧١)، ٢٠١٧ م.
١٧-الشكوى في شعر القرن الرابع الهجري: جواد رشيد مجيد، رسالة ماجستير(غير منشورة)، بإشراف: د. عناد إسماعيل الكبيسي، كلية الآداب، جامعة المستنصرية، ١٩٨٨م.
١٨-ظاهرة الشكوى في شعر هذيل: بتول حمدي البستاني، رسالة ماجستير(غير منشورة)، بإشراف: د. عبدالاله علي حمود الصائغ، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٧م.
١٩-قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: كمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصلي(ت: ٦٥٤هـ)، تحقيق: كامل سليمان الجبوري، دار صادر العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
٢٠-القلق: فرويد، ترجمة: د. محمد عثمان نجاتي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٢م.
٢١-القلق وإدارة الضغوط النفسية: فاروق السيد عثمان، دار الفكر العربي، ط١، ١٠٠١م.
٢٢-لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي أبي الفضل جمال الدين ابن منظور(ت:٧١١هـ)، دار

صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ.
٢٣-مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني(ت: ٥١٨ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٧٢ .
٢٤-مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: أبو المظفر يوسف بن شمس الدين، المعروف بابن الجوزي(ت ٦٥٤ هـ)، مطبعة دار المعارف العثمانية، مجيد آباد، الهند، ط١، ١٩٥٢م.
٢٥-معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي(ت: ٦٢٦ هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٢ ، ١٩٩٥ م .
٢٦-مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: جمال الدين محمد بن سالم بن واصل(ت ٦٩٧ هـ)، تحقيق: جمال الدين الشيّال، دار القلم، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٥٧م.
٢٧-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي(ت:٨٧٤هـ)، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٦٢م.
٢٨-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد، (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧١م.

The Complaint in the Poetry of Fityan AlChagoury (T: ٦١٥ AH)

Lecturer Dr. Gargees Agoub Abdullah Al-Rashidi

University of Mosul / College of Arts / Department of Arabic

Abstract:

The research is based on studying the complaint in the poetry of Fityan AlChagoury , an objective critical study. It shows the self and human side of his poetry; Because the complaint is a literary phenomenon present in his poetry that expresses his psychological state and his social reality by broadcasting his suffering, his nation's and his pain in human feelings; It reveals the delicacy of his sense and his deep experience, in the significance of the complaint in stirring up emotions and sensations with a structure that goes beyond the lexical connotation to objective, subjective and social connotations that depict his vision of reality and what it contains - sensory and moral - of deprivation and injustice that produced despair and oppression; The complaint for him manifested itself in four axes - the complaint about the separation of the brothers and companions, the poverty , the calamities of time and its consequences, and the rulers and deputies through a fully-fledged poetic experiment.